الدبلوماسيّة في ضوء السنة النبوية
دراسة موضوعيّة

نهاد يوسف شكري الثلاثيني

Summary of research

In this research, the researcher clarifies the meaning of diplomacy and how the Prophet's sunna formed the Islamic diplomacy depending on abig number of the Prophet's sayings (hadiths) selected from many books of sunna. In addition, the researcher clarifies the manners of diplomatic negotiations and discussions, and that the negotiations are deeply rooted in Islam. Then, the researcher focuses on the Prophet's diplomacy in coping with diplomatic problems and their impacts on both the individual and the society. Finally, the researcher ends up with aconclusion of the main results and recommendat .

ملخص البحث

تقوم فكرة هذا البحث على تجلية موضوع (الدبلوماسية) في ضوء السنة النبوية اعتماداً على مجموعة كبيرة من الأحاديث منتقاة من كتب السنة يتم من خلالها توضيح معنى (الدبلوماسية) ، وكيف صاغت السنة الشخصية الإسلامية الدبلوماسية، ثم استعرض البحث دور السنة النبوية في تنظيم العلاقات الدبلوماسية، وبينت فيه أدب الحوار والنقاش الدبلوماسي، وأن الحوار أصل من أصول ديننا ، كما تعرضت للسياسة النبوية في معالجة الأزمات الدبلوماسية، ثم تعرضت للآثار المترتبة على النفس البشرية والمجتمع، وانهيت بخاتمة شملت أهم النتائج والتوصيات.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

إن العلاقات الدبلوماسية من الأمور التي شرعها الإسلام وحث عليها، وهي نوع من العلاقات التي يتم من خلالها تحقيق أسس التعامل الراقي والمرموق بين المجتمعات وشعوب العالم الآخر، فهذا الأساس وهذه الآداب لها أصول في السنة النبوية المطهرة، وفي المنظومة الأخلاقية الإسلامية، (فالدبلوماسية) في الإسلام إنما تمثل فكرة متقدمة، تتجاوز مجرد التعاون بين الناس متعدية إلى تأصيل سياسة التعاون والتفاهم بين المجتمعات الأخرى من غير المسلمين، فتفرض نفسها في أوقات معينة أو أمكنة بعينها، وتستمد (الدبلوماسية) مبدأها والأصول القائمة عليها من الإسلام مقرر الشرعية، القائم على مبدأ المصالح المتبادلة بين الناس في المجتمعات، فالإنسان في التصور الإسلامي، لا يعيش مستقلا بنفسه، منعزلاً عن غيره وإنما هو في حركة يتبادل فيها مع المجتمعات الأخرى ما تقرره المصلحة العليا للدولة، المتعلق بأمور الحياة، والعلاقات الخارجية مع المجتمعات والدول في هذا العالم الفسيح .

وهذا ما سأقف عليه من خلال هذا البحث المستل من رسالتي في الدكتوراه الموسومة بـ (التطور الحضاري للشعوب في ضوء السنة النبوية) إن شاء الله تعالى، وذلك من خلال جمع الأحاديث الواردة في السنة النبوية، التي لها علاقة (بالدبلوماسية)، ودراستها دراسة موضوعية حتى تعم الفائدة بإذنه تعالى.

والبحث يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أولاً: المقدمة وتشتمل على :

1- أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث وأسباب اختياره في النقاط التالية:

أ- إبراز اهتمام السنة النبوية بالآداب والمعاملات الإنسانية.
ب- جمع الروايات التي تحث على (الدبلوماسية) ودراستها دراسة موضوعية.
ت- الدور الكبير في تطوير العلاقات (الدبلوماسية) في كافة المحافل والمؤتمرات.
ث- بيان سمحة الإسلام، ومعالجته للأزمات بطريقة (دبلوماسية) دون اللجوء إلى القوة أو العنف.
ج- إثراء المكتبة الحديثية.

2- منهج البحث وطبيعة الدراسة فيه:

سلك الباحث منهج الحديث الموضوعي في بحثه المتعلق بالدبلوماسية في السنة النبوية، وبيان الجوانب تحليلية والاستنتاجية وحسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع، وتفرضه حاجة البحث، كل ذلك وضعته تحت عنوان **من فقه الحديث**، أما المنهج من حيث:

أ- الترجمة للرواة:

عدم الترجمة للرواة، فقط أكتفي بذكر علة الراوي إن وجدت عند الحكم على الحديث.

ب- التخريج:

1- إذا وجد الحديث في الصحيحين، أو أحدهما، اكتفي بتخريجه منهما أو من أحدهما.

2-الإشارة إلى المقارنة بين ألفاظ متن الحديث.

ت- بيان درجة الحديث:

1- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما لا يذكر الحكم عليه لأنه معروف سلفاً، وذلك للإجماع على تلقي كتابيهما بالقبول .

2- إن وجد حكم مرضي على الحديث - في غير الصحيحين- من أقوال العلماء القدامى أذكره ، وإن لم يوجد اجتهد في الحكم عليه حسب القواعد المتبعة لدى علماء هذا الفن.

***الدراسات السابقة :**

لم يقف الباحث على أي من الأبحاث ذات العلاقة الموضوعية من الجانب الحديثي فيما يتعلق بموضوع البحث (الدبلوماسية) ، لكن وجدت عدة مؤلفات تتحدث بشكل عام عن (الدبلوماسية) في الإسلام، منها :

1- الدبلوماسية في الشريعة الإسلامية دراسة تحليلية، محمد صالح حديد، ماجستير دراسات دولية، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية العدد/ 4.

2- الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي، أحمد سالم عمر، دار النفائس- عمان الطبعة الأولى: 1421ه.

3- الأمن الدبلوماسي في الإسلام، الدكتور محمد إبراهيم أبو جريبان، كلية الأميرة رحمة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية السلط - عمان .

4- الدبلوماسية والبروتكول بين التقاليد الإسلامية والمجتمع الحديث، الدكتورة نادية إبراهيم أحمد، كلية الإعلام جامعة أم درمان الإسلامية السودان، مجلة دراسات دعوية العدد 18، في رجب 1430ه.

ثانياً: التمهيد وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الدبلوماسية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف (الدبلوماسية) في الإسلام.

ثالثاً: المباحث وتشتمل على:

المبحث الأول: السنة النبوية ودورها في تكوين الشخصية الدبلوماسية.

<u>وفيه مطلبان :</u>

المطلب الأول : الحِلمُ والأناة وسعة الأُفق.

المطلب الثاني : مظهر الشخصية الدبلوماسية.

المبحث الثاني: المجالس في السنة النبوية وعلاقتها بالدبلوماسية.

<u>وفيه ثلاثة مطالب :</u>

المطلب الأول : أداء تحية أثناء الدخول إلى المجالس.

المطلب الثاني : آداب الجلوس في المجالس.

المطلب الثالث : آداب المشاركة في النقاش والحوار.

المبحث الثالث: الأزمات الدبلوماسية وسبل علاجها.

<u>وفيه ثلاثة مطالب :</u>

المطلب الأول : التخلق بالرفق والأناة.

المطلب الثاني : المعالجة والتوجيه حسب الحال والمقام.

المطلب الثالث : تغليب الحكمة على العاطفة في إدارة الأزمات.

رابعاً: الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

أولاً: تعريف (الدبلوماسية) في اللغة والاصطلاح.

- تعريف (الدبلوماسية) في اللغة:

كلمة دبلوماسية كلمة لاتينية الأصل، استخدم مصطلح (الدبلوماسية) كما هو في أصله، وأصبح متداولاً بين الدول العربية، إلا أن العرب عملوا بمفهومها منذ القدم، على أنها قيم ومبادئ إنسانية تقوم على أساسها علاقات حسنة بين القبائل أو دول الجوار.

- تعريف (الدبلوماسية) في الاصطلاح:

يعرف رجال القانون الدولي (الدبلوماسية) على أنها "فن وعلم إدارة العلاقات الدولية"[1] وهذا يعني الانضباط والتنظيم الذي ينم عن رغبة الدولة في بناء علاقات دولية، ترقى إلى مستوى التمثيل الرسمي المتبادل مع الدول الأخرى .

ثانيا: تعريف (الدبلوماسية) في الموسوعة البريطانية.

عرفتها الموسوعة البريطانية "بأنها فن إدارة المفاوضات الدولية."[2]

ثالثاً: تعريف (الدبلوماسية) في الإسلام.

"هي مجموعة القواعد والأحكام التي تتفق مع الشريعة الإسلامية، والتي تعبر عن رغبة الدولة في تعاملها مع غيرها من الدول بما يحقق مصلحتها في جميع الأحوال والظروف."[3]

---

1) انظر: المدخل إلى القانون الدولي وقت السلم، محمد عزيز شكري، ص: 320.
2) انظر: النظم الإسلامية د.ماهر السوسي، د.أحمد شويدح، د.زياد مقداد، مكتبة آفاق، الطبعة السادسة،2010م.
3) انظر: مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 24، العدد الاول لسنة 2008، بحث الأمن الدبلوماسي في الإسلامي للدكتور: محمد إبراهيم أبو جريبان، ص:618.

ولهذا فلا يمانع شرعنا الحنيف من فتح علاقات سياسية واقتصادية ودبلوماسية، وغيرها من العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول، التي لا تدين بشريعة الإسلام، بشرط عدم المس بالقواعد والأصول العقائدية في الإسلام.

المبحث الأول: السنة النبوية ودورها في تكوين الشخصية الدبلوماسية.

لقد عني الإسلام بالإنسان عنايته بالجوانب الأخرى للحياة، فاهتمامه بالجانب الروحاني للإنسان، من حيث المعتقدات والعبادات، والتصورات الفكرية للغيبيات، لم يغفل معها اهتمامه بالجوانب المادية للإنسان وبناء شخصيته على أسس صحيحة.

يقول الدكتور سهيل الفتلاوي: "من المصادر المهمة التي ساهمت في تكوين شخصية النبي ρ هي التربية التي حظي بها والتي كانت انعكاساً للوضع الاجتماعي والسياسي القائم في مكة.. ومن المؤكد أن نشأة النبي محمد ρ ونسبه الشريف، قد ساهمتا في تكوين هذه الشخصية الفذة بالشكل الذي أهلته لأداء المهمة المكلف بها."[4]

فنخبة المجتمع ممن ظهرت فيهم علامات النبوغ والإبداع في سن مبكرة، هي الفئة المستهدفة في كل الدول المتقدمة، لاحتوائهم في مؤسساتها الخاصة، وتنشئتهم على السياسات التي تقوم عليها الدولة، ولذلك تسخر لهم الكفاءات الخاصة بهم لتربيتهم على مختلف العلوم واللغات، إلى جانب ترويضهم على الصبر والعمل في مختلف البيئات الاجتماعية، ليتميزوا بالقدرة والتفوق في التأثير على الآخرين دون التأثر بهم، وقد كان للسنة النبوية دور أصيل في تطوير وبناء هذه الشخصية على أساس إسلامي، انطلاقاً من القرآن والسنة .

أولاً: القرآن الكريم.

يعد القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي، لأنه كما قال تعالى : **(لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت: ٤٢)** وهو الرسالة السماوية الخاتمة التي ما تركت من شيء إلا وبينته تفصيلاً أو إجمالاً.

" وقد جاءت القواعد (الدبلوماسية) في القرآن بحق النبي ρ على ثلاث أنواع: الأول: قواعد (دبلوماسية) جاءت بحق النبي ρ، ولكنها تعد تشريعاً لجميع المسلمين. الثاني: ما جاء للمسلمين بصورة عامة، فإنه يشمل النبي ρ من باب أولى كقوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) (الأحزاب:70).** الثالث: ما جاء للنبي ρ خاصة، فهي قواعد (دبلوماسية) خاصة به ρ.**(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّـهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)(الأحزاب:45-46)"**[5]

ثانياً: السنة النبوية.

4) انظر: دبلوماسية النبي ρ دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، للدكتور: سهيل حسين الفتلاوي، طبعة دار الفكر العربي- بيروت، الطبعة الأولى:2001م، ص: 27.
5) انظر: دبلوماسية النبي ρ، ص: 38.

وهي مصدر الثاني للتشريع، فهي ثابته، فمنها قطعي الثبوت كالمتواتر، ومنها المقبول المحتج به كالصحيح بقسميه والحسن، فمن اعتقد أنها قابلة للقبول والرد فيما ثبت منها، فهو مرتد بإجماع جمهور العلماء لثبوت ذلك من القرآن والسنة والإجماع.

قال تعالى: **(مَّا أَفَاءَ اللَّـهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّـهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:7)**

فالأقوال والأفعال الصادرة عن رسول الله ρ تعد تشريعاً للأمة، يجب تلقيها وتعلمها لتطبيقها واقعاً علمياً في الحياة، فهناك أحاديث كثيرة بينت أسلوبه ρ وطريقة معاملته مع أصحابه، وكذا الرسل، إلى أسلوبه ρ مع رؤساء القبائل، ومراسلاته للملوك والأمراء، كلها وسائل تربوية وتشريعية لبناء الشخصية الإسلامية بطريقة (دبلوماسية)على أصول شرعية صحيحة.

المطلب الأول: الحِلمُ والأناة وسعة الأُفق.

منظومة الأخلاق التي تنادي بها الدول المتحضرة في العصر الحديث، ترفع مستوى تمثليها الدبلوماسي في المؤسسات الدولية، بالإضافة إلى إسهامها بشكل فاعل في إدارة العلاقات الدولية وصناعة القرار، الذي يحفظ الأمن والاستقرار السياسي لشعوب العالم الحر.

فالإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان أصل وبسط الأمن والسلم بين الناس، على أصول أخلاقية وعقائدية لم تكن نتاج عقل بشري، أو موروث خرافي، بل هو نظام متكامل نزل من الله تبارك وتعالى للناس كافة.

ويكفينا من بحر سيرة النبي ρ العطرة التي ملأ شذاها الفياح الآفاق، أن نقتدي بعظيم أخلاقه، وجميل صبره، وسعة صدره ، وقوة إيمانه بنصر ربه، يوم لاقى ما لاقى من أهل الطائف .

قال البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ρ ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ρ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[6] فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ

6) قرن الثعالب: هُوَ اسْمُ موضعٍ يُحرِم مِنْهُ أَهْلُ نَجْد. وَكَثِيرٌ ممَّن لَا يَعْرف يَفْتَح رَاءَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالسُّكُونِ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(54/4).

الأَخْشَبَيْنِ؟[7] فَقَالَ النَّبِيُّ ρ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ."[8]

من فقه الحديث:

لم تعرف الدنيا رجلاً أعظم خلقاً من رسول الله τ في التعامل مع خصومه الذي تمكن منهم باقتدار، ألا يعد هذا عند من يتشدقون (بالدبلوماسية) أعلى وأسمى معانيها، ألا يعلمون أن الله تعالى أنزل قوله: (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)(القلم:4). بحق نبيه ρ بعد رفضه الثأر لنفسه، وإنزال العقاب بالطائف التي فعلت به ما فعالت. مما يدلل على أنه ρ كان المؤسس الأول للمبادئ التي تُبنى عليها مفاهيم وأخلاق التعامل مع الأعداء وغيرهم (الدبلوماسية).

وقد مارس جيل النخبة من الصحابة رضوان الله عليهم العمل السياسي (والدبلوماسي) بأعلى مستوياته بإتقان وإبداع، فهذا جعفر بن أبي طالب τ يعننه النبي ρ أميراً على مهاجري الحبشة في السنة الخامسة من البعثة، ليحاور النجاشي بأسلوب مهذب رفيع المستوى، يليق بمقام الملوك والأكابر، أذهل دهاقنة قريش وسادتهم.

قال البخاري: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ العَلاَءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى τ، بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ρ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ρ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ρ: "لَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ"[9]

من فقه الحديث:

لقد أختار النبيρ رجلاً حليماً ذو فصاحة وبيان، حافظاً متقناً لكتاب الله، ممثلاً للدعوة الإسلامية في بلاد الحبشة، لا يخشى في الله لومة لائم، فكان نعم السفير، ونعم القائد الذي قهر أعتى رجلين بعثتهما قريش لإرجاع مهاجري الحبشة إلى مكة ليسوموهم سوء العذاب، ولكن الحق الذي تجلى على لسان جعفرτ جعل النجاشي يبكي ويطرد سفراء قريش.

قال ابن هشام: "قال جعفر: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ.. فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ... فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ: "كهيعص" .. فَبَكَى وَاَللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُّوا مَصَاحِفَهُمْ،

---

7) الأخشبين: الجَبَلَانِ الْمُطِيفَانِ بِمَكَّةَ، وهُمَا أَبُو قُبَيْس والأَحْمَرُ، وَهُوَ جَبَلٌ مُشْرِفٌ وَجْهُهُ عَلَى قُعَيْقِعَان. والْأَخْشَبُ كُلُّ جَبَلٍ خَشِنٍ غَلِيظِ الْحِجَارَةِ.انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (32/2).

8) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء..،ح:3231،انظر: صحيح البخاري، (115/4) ، ومسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ρ من أذى المشركين..، ح: 1795. انظر: صحيح مسلم (1946/4)

9) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة الحبشة، ح:3876، انظر: صحيح البخاري، (51/5). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس رضي الله عنهم، ح:2503،

حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا." [10]

فالشخصية الدبلوماسية، يجب أن تتمتع بمواصفات متميزة، تجعله أقدر على القيام بما يكلف من مهام أمام الجهات الرسمية، كالمظهر الشخصي، والذكاء والحلم والأناة وسعة الأفق.

المطب الثاني: مظهر الشخصية الدبلوماسية.

إن المظهر اللائق والأنيق له دور كبير في نجاح المهام المطلوبة من الشخصية الدبلوماسية ، فإن أحسن اختياره الاحسن الملابس وأبهاها، واعتناءه بمظهره الخارجي بما يناسب الظروف والأحوال التي سيعمل فيها، فإن مستوى نجاحه وقبوله مرتبط بحرصه على الظهور بالمظهر اللائق الذي يمثل المناصب العليا في الدولة.

" فالمظهر الخارجي للدبلوماسي ضروري من جهتين: الأولى أنه يمثل انعكاساً حضارياً للبلد الذي يمثله وطبيعة معيشته، والثانية أنه يدل على مدى الاحترام الذي يحمله المرسل للمرسل إليه لأنه اختار شخصاً يليق به."[11]

قال تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّـهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف:32) .

والسنة النبوية المطهرة مليئة بالأحاديث التي تدعو المسلمين عامة، وأصحاب المهمات (السفراء والرسل) خاصة إلى الاهتمام بمظهرهم الخارجي، من غير إسراف أو خيلاء .

انطلقت مواكب رسل رسول الله ρ تحمل بشائر وأنوار الهداية، من خلال رسائل وخطابات مختومة بختمه ρ وكانت تلك الرسائل تحمل حرص النبي ρ على إسلام هؤلاء الملوك، وإبلاغ دعوته إليهم .

روى الإمام مسلم عن يُوسُفُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: **«أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى»** [12].

توجه سفراء الرسول ρ بالرسائل إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس عظيم القبط في مصر، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى هرقل عظيم الروم، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وغيرهم من ملوك وأمراء ..

وكان اختيار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسفرائه قائما على مواصفات رباهم عليها، فكانوا يتحلون بالعلم والفصاحة، والصبر والشجاعة، والحكمة وحسن التصرف، وحسن المظهر .

---

10) انظر: السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م (334/1) والروايات في سيرة ابن هشام تحمل على القبول، وإن كانت عن ابن اسحاق لتغليب الاستئناس بها .

11) انظر: دبلوماسية النبي محمد ρ، ص:73.

12) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: كتب النبي ρ إلى الملوك والكفار يدعوهم إلى الله عز وجل (1397/3) .

فاختار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دحية الكلبي ، وأرسله إلى هرقل عظيم الروم . يقول ابن حجر في الإصابة عن دحية : " كان يُضرب به المثل في حسن الصورة ". وكان دحية ـ مع حسن مظهره ـ فارسا ماهرا، وعليما بالروم .. "[13]

وقال البخاري تحت كتاب اللباس، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) (الأعراف: 32) وَقَالَ النَّبِيُّ ρ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ" وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ τ: " كُلْ مَا شِئْتَ، وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ"[14] .

وأورد تحت الباب قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ τعَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ: "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ρ: "لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلاَءَ".

فالحديث يفيد عدم الحرج في تخير الثياب والملابس الراقية والجميلة، بشرط إلا يخالط ذلك كبر أو رياء، لأن الأصل في الأشياء الحل ما لم يأت الشرع بتحريمه.

المبحث الثاني: المجالس في السنة النبوية وعلاقتها بالدبلوماسية .

تباينت دول العالم اليوم في العادات والتقاليد التي تؤثر في بروتوكولاتها الرسمية، والتي تعبر عن حضارتها وثقافتها ونظامها السياسي في الحكم، فقد تلتقي مع دول أخرى وتتشابه في نظامها البروتوكولي لاستقبال الوفود وكبار رجال الدولة، وقد تستقل بأنظمة وبروتوكولات خاصة بها دون غيرها من دول العالم.

والإسلام في هذا المجال لم يتأخر عن ركب الحضارة في استقبال الوفود والسفراء، فقد كانت هذه النظم البروتوكولية محل اهتمام الشريعة الإسلامية صاحبة الحضارة المتميزة في التعامل مع الآخرين انطلاقاً من الإسلام.

المطلب الأول: أداء تحية أثناء الدخول إلى المجالس.

يتم اختيار الرجل الدبلوماسي بناءً على مواصفات خاصة به، يتميز بها على غيره من الناس، لكونه شخصية مهمة معدة لمقابلة كبار المسئولين في الدولة، بهدف تحقيق المهام التي أرسل من أجلها، الأمر الذي يتطلب منه أن يتصرف بأخلاق وآداب الرجل الدبلوماسي ليعكس الآداب الحضارية لدولته من جهة، ويتقرب بها إلى المسئولين فيفرح قلوبهم ويسرهم من جهة أخرى.

فأول آداب الدخول على الناس في مجالسهم هي أداء تحية الإسلام "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" كما أن رد السلام حق من جملة الحقوق التي أوجبها النبي ρ على أمته، لأنها أصل في بناء المجتمع وتماسكه على الحب وعمل الخير كالبيت الواحد، فإن كان هذا حال السلام بحق المسلم العادي في المجتمع، فهو بحق المسلم الدبلوماسي أدعى وأولى للانتباه إليه، وتحري العمل به

---

13) انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (321/2) .
14) انظر: صحيح البخاري ، (140/7).

قال البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَشْعَثِ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ، عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ τ، قَالَ: " أَمَرَنَا النَّبِيُّ ρ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ القَسَمِ، وَرَدِّ السَّلاَمِ ...الحديث"[15]

وفي رواية قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ τ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρيَقُولُ: " حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ ." [16]

من فقه الحديث:

يشير الحديثان السابقان إلى بعض الحقوق المترتبة على المسلم تجاه أخيه المسلم، وكل من الحديثين يبين أن رد السلام حق يتوجب على المسلمين العمل به، لما فيه من الحكم العظيمة والأخلاق الكريمة النبيلة، التي إن فشت في المجتمع أصبح مجتمعاً مترابطاً متحاباً .

يقول ابن حجر في قضية الابتداء في السلام والرد عليه: "وَقَدْ نقل ابن عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الِابْتِدَاءَ بِالسَّلَامِ سُنَّةٌ وَلَكِنْ فِي كَلَامِ الْمَازِرِيِّ مَا يَقْتَضِي إثْبَاتَ خِلَافٍ فِي ذَلِكَ كَذَا زَعَمَ بَعْضُ مَنْ أَدْرَكْنَاهُ وَقَدْ رَاجَعْتُ كَلَامَ الْمَازِرِيِّ وَلَيْسَ فِيهِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَالَ ابْتِدَاءُ السَّلَامِ سُنَّةٌ وَرَدُّهُ وَاجِبٌ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا وَهُوَ مِنْ عِبَادَاتِ الْكِفَايَةِ."[17]

وخلاصة القول: الابتداء بالسلام أمر جاءت به السنة النبوية لإشعاره الجالسين بالتقدير والأمن، لأن معنى السلام هو السلامة، أي سلام الله ملازم لك، وأقله قول السلام عليكم.

فالمبعوث الدبلوماسي واجب عليه التحلي بهذا الأدب، فإذا ما قدم على مجلس فليبادر بإلقاء السلام على جميع الجالسين في المجلس، فإذا جلس بعد ذلك فما عليه إلا أن يرد السلام.

المطلب الثاني: آداب الجلوس في المجالس.

من المتعارف عليه دولياً أن مقاعد الزعماء والرؤساء لها مكان مخصص ومعروف، يأتي دائماً في صدارة المحافل والمؤتمرات واللقاءات على أعلى المستويات، وهو نظام دولي معروف تعمل بمقتضاه الدولة، وكذا البعثات الدبلوماسية أو الوفود الوزارية وغيرها من الشخصيات الاعتبارية رفيعة المستوى، فكل شخصية لها مقعد خاص بها يقع من حيث الترتيب والتنظيم حسب موقع ومكانة الشخصية في الدولة.

فدبلوماسي وسفراء الدول تخصص لهم مقاعد معروفه ومحددة، لا يجوز تجاوزها لئلا يقع الحرج أو الانتقاص من قدر الشخص، وفي الغالب تكون إشارة على المقعد كاسمه أو رمزه أو علم دولته وما إلى ذلك من إشارات تهدف لضبط المجلس وتنظيمه بطريقة لائقة كل حسب مكانته وموقعه.

---

15) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، ح:1239، انظر: صحيح البخاري، (71/2) . ومسلم، في كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضية، ح:2066، انظر: صحيح مسلم، (1635/3) انظر: صحيح البخاري، (71/2) .

16) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، ح:1240، انظر: صحيح البخاري، (71/2) ومسلم في كتاب السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، ح:2162، انظر: صحيح مسلم، (1705/4) .

17) انظر: فتح الباري، (4/11) .

في الغالب يقوم المسئولون عن تنظيم أماكن الجلوس في المؤتمرات والندوات واللقاءات بإشعار الدبلوماسي بمكان جلوسه، تراعى فيه إجراءات خاصة لمنع التمايز أو الفرقة بين الدبلوماسيين بحيث لا يفضل أحدهم على الآخر. ويحدد الوقت الذي يجب أن يحضر فيه والوقت الذي سيغادر فيه، وقد تدون الأسماء على المقاعد لكي لا يكون هناك التباساً في عملية الجلوس. [18]

والسنة النبوية تذخر بهذه الآداب والأخلاقيات للمجالس الرسمية والشعبية وحلقات العلم، فالتوجيهات النبوية المتعلقة بالموضوع كثيرة منها عل سبيل المثال:

قال البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ρ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ρ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ρدَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ.. الحديث"[19].

من فقه الحديث:

يعد هذا الحديث من أعظم الأحاديث التي شملت أكثر من جانب في بناء الشخصية الدبلوماسية، وذلك على النحو التالي:

الأول: إن طبيعة المجالس التي غشيها النبي ρ وهو في طريقه إلى بيت سعد بن عبادة τ كانت تمثل أطيافاً رفيعة المستوى لمواطني المدينة بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول المرشح الوحيد يومها لقيادة وزعامة المدينة، وبعبارة أخرى كان يمثل مجلس الأمة (ليثرب) .

الثاني: التداخل الاجتماعي في أوساط المجتمع وعدم الانحسار أو الانكماش في وقت ذروة العمل الدعوي والنشاط التنظيمي، فقد رأينا أن عدداً من المسلمين وعلى رأسهم عبد الله بن رواحة موجودين في هذا المجلس الذي يرأسه عبد الله بن أبي بن سلول وكان يومها على الكفر.

الثالث: نزول النبي ρ عن دابته وإلقاء السلام على من في المجلس، يدلل على أدب من الآداب التي يجب أن يتخلق بها الدبلوماسي عند دخوله القاعة أو المجلس كما بينت في الفرع السابق .

---

18) انظر: دبلوماسية محمد ρ ، ص:129.

19) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: " ولتسمعن من الذي أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا آذىً كثيراً.. الآية(آل عمران:186) ح:4566، انظر: صحيح البخاري، (39/6)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: في دعاء النبي ρ إلى الله..ح:1798انظر: صحيح مسلم، (1422/3).

الرابع: احترام قيادة المجلس وذلك بالامتناع عن الحديث؛ والمغادرة بلطف وأدب، بعد الدعوة إلى الله ، والتدخل بطريقة لبقة، لفض المنازعات التي نشبت بين الناس .

ومن الآداب النبوية كذلك، اختيار الأماكن والمواقع التي تليق بالمجالس واللقاءات والمناقشات الرسمية، كمجالس السياسيين والدبلوماسيين ونحوهم، فقد أمر النبي ρ بتجنب الأماكن العامة والمفتوحة، كالشوارع والساحات العامة .

قال البخاري: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ τ، عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ"، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا"، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ" (20).

من فقه الحديث:

يرشدنا الحديث إلى آداب رفيعة، يتوجب على المسلم الانتباه إليها جيدا، والحرص على تطبيقها واقعاً عملياً، فيه مجموعة آداب لعامة الناس وخاصتهم، فعامة الناس يتجمهرون على نواصي الطرقات، أو الجلوس في بعض البيوت المفتوحة على الطريق، للتناول أطراف الحديث في مواضيع شتى، وهذه العادة كانت موجودة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، إلا أنها بدأت بالتلاشي بعد التطور الحضاري والعمراني للشعوب العربية من خلال الغزو الشرس للفضائيات ووسائل الإعلام والانترنت معظم البيوت، مما أدى إلى الحد بشكل كبير من هذه العادات.

أما على صعيد الدبلوماسيين، فإن الأمر مختلف تماماً، إذ يتوجب عليهم أخذ الأمر بتجنب ذلك على سبيل التكليف والواجب، لحساسية الموضوعات التي تثار في هذه المجالس.

إن تنظيم المجالس الدبلوماسية وتزينها بالآداب الإسلامية، جعل من الحضارة الإسلامية المنارة الرائدة في التوجيه، والتعليم الأخلاقي والأدبي، لمؤسسات العمل السياسي والدبلوماسي في دول العالم الشرقي والغربي، فهذا سبق حضاري للإسلام، للسنة النبوية الدور البارز والفاعل فيه.

المطلب الثالث: آداب المشاركة في النقاش والحوار.

لقد فاضت السنة النبوية المطهرة بالتوجيهات والإرشادات المتعلقة بآداب الحوار والكلام وطريقته، ومقامه وضوابطه وغيرها من التوجيهات التي من شأنها رفع مستوى الوعي في طريقة الحوار والخطاب وما يجب الخوض فيه.

والمتحدثون من العلماء والكتاب في ذلك كثير، لا يتسع المجال هنا لإيراد أقوالهم، لكني أكتفي بما ذكره أبو حامد الغزلي في كتابه الإحياء عن اللسان وخطره، حيث يقول: " له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان، سيق به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطره إلى البوار.. وقد تساهل

---

20) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغضب، باب: أفنية الدور والجلوس فيها، ح:2465، انظر: صحيح البخاري، (132/3) . ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقها، ح:2121، انظر: صحيح مسلم، (1675/3) .

الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آله الشيطان في استغواء الإنسان."[21]

(فالدبلوماسي) يجب أن يحتاط في الكلام أكثر من غيره، لأن كلامه محسوب عليه سواء كان كلاماً رسمياً ـــ خطاب في مؤتمر أو بيان صحفي ونحوه ــ أو كان كلاماً يعبر عن شخصيته ورغبته، أو ما يجول في نفسه، فهو في النهاية يمثل دولة ذات حضارة وقيم وأخلاق.

أما آداب الحوار التي يجب أن يتحلى بها الدبلوماسي فهي كثيرة منها:

1- ترك الفضول من القول .

تظل الكلمة متألقة ذات نفوذ في نفوس السامعين، إذا عرف المتكلمُ قدرها، وأوقعها موقعها اللائق بها، ولم يبتذلها حتى تصبح لغواً لا يعرف قدرها.

فقد جعل النبيε إمساك الإنسان لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه، دليلاً على حسن إسلامه، وقد تكاثرت الوصايا النبوية الدالة على ضبط اللسان والتحرز من إطلاقه، وهذه الوصايا يراد فيما يراد منها، ترك الفضول من القول الذي لا حاجة له؛ فإن اللسان من أكثر الجوارح استجابة للوقوع في الزلل.

قال البخاري: حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ: "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ."[22]

من فقه الحديث:

المجتمع النظيف من القيل والقال، ومن التعدي على حرمات وحقوق الغير، مجتمع سليم آمن، راق في علاقاته الحضارية والأخلاقية التي تربى عليها في الإسلام.

قال الحافظ ابن رجب: "هذا يدل على أنَّ كفَّ اللسانِ وضبطَه وحبسَه، هو أصل الخير كلِه، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه."[23]

فالدبلوماسي يجب أن لا يكون فضولياً ولا ثرثاراً، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، فهي ليست من أخلاق الإسلام، بل أخلاق مذمومة على المسلم الترفع عنها، وتجنب الوقوع فيها.

2- ترك التكلف في الفصاحة.

هذا الدين مبناه على اليسر والسماحة، ومجانبة التكلف والتنطع، لما يجلبه من إدبار الناس عن المتكلف، ولما يورثه ذلك من إعجاب المتكلف بنفسه، فالأولى بالشخص الدبلوماسي أن يتجنب عبارات التكلف أثناء حديثه ومناقشاته، حتى لا يشعر السامع بالملل والامتعاض.

---

21) انظر: إحياء علوم الدين، (136/3) .

22) أخرجه البخاري في كتاب أمور الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح: 10،انظر: صحيح البخاري، (11/1)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ح: 40، وأبو داود(22) في كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت؟ ح:2481، انظر: صحيح مسلم، (65/1)

23) انظر: جامع العلوم والحكم، ص :274.

قال مسلم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَتِيقٍ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ"[24] قَالَهَا ثَلَاثًا. [25]

3- العناية بطريقة الكلام وحسن البيان.

إن طريقة كلام الدبلوماسي في خطابه أو مناقشاته، وبيان عباراته، من أنجع الوسائل لإظهار الحق والترغيب فيه، فهو يستحوذ على القلوب ويأخذ بمجامعها، وكم من حق خبا نوره وتلاشى أثره في النفوس؛ لسوء تعبير صاحبه، وكم من باطل راج وشاع بين الناس؛ لفصاحة قائله وحسن بيانه.

قال البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ المَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: " إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ: إِنَّ بَعْضَ البَيَانِ لَسِحْرٌ. "[26]

من فقه الحديث:

قد ينجح (الدبلوماسي) في إيصال فكرته إلى قلوب الناس، من خلال نبره حديثه وانتقاءه للكلمات ذات الأثر الفعال في النفوس، يستجيش بفصاحتها وحسن بيانها العواطف والمشاعر والشجون، وقد يفشل إن لم يحسن الحديث بلغة فصيحة، فيضطرب صوته فيزهد الناس عن السماع له.

قال الإمام الخطابي: " البيان اثنان: أحدهما ما تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان، والآخر ما دخلته الصنعة، بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر إذا خلب القلب، وعلب على النفس حتى يحول الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن وجهه، فيلوح للناظر في معرض غيره، وهذا إذا صرف إلى الحق فيُمدح، وإذا صرف إلى الباطل يذم ."[27]

المبحث الثالث: الأزمات الدبلوماسية وسبل علاجها ..

الفطرة الإنسانية مجبولة على الهدوء والأناة في التعاملات الثنائية بين البشر، والإنسان بطبعه يبحث عما يسعده وتقر به نفسه، ويتجنب المتاعب والأزمات في شتى مجالات الحياة .

ولكن ليس كل ما يتمنى الإنسان يجده بين يديه محققاً، فقد يأتي زمان تتغير فيه الأمور والأحوال، فما عليه إلا أن يستعد لهذا الزمان، ليتعامل معه بما أوتي من علم وحكمة وحلم.

فالشخص (الدبلوماسي) يتمتع بموقع رفيع المستوى، محاط بالاحترام والإجلال والخدمة في جميع المجالات، في الدولة المضيفة له، لكن قد تطرأ تغييرات مفاجئة، تمس بالعلاقات الثنائية

---

24) المتنطعون : هُمُ المُتعَمِّقون المُغالون فِي الْكَلَامِ، المتكلِّمون بأقْصَى حُلوقهم. مَأْخُوذٌ مِنَ النِّطَعِ، وَهُوَ الغارُ الأعْلى مِنَ الفَم، ثُمَّ استُعْمِل فِي كُلِّ تَعَمُّق، قَوْلًا وَفِعْلًا.. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير(74/5) .

25) أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون ح:2670، انظر:صحيح مسلم(2055/4) .

26) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا، ح:5776،انظر: صحيح البخاري، (138/7)

27) انظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق د. محمد بن سعد آل سعود، دار مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى سنة: 1409هـ، (187/2) .

بين البلدين، مما ينعكس سلباً على العلاقات الدبلوماسية التي تتأثر بها الصلاحيات، والإمكانيات الممنوحة للدبلوماسيين.

ولذا كان للسنة النبوية دوراً أصيلاً في تربية السفراء والرسل على تحمل الصعاب، وتجلد الصبر، والتحلي بأخلاق الإسلام في مواجهة الأزمات وعلاجها (دبلوماسياً) من أهمها:

المطلب الأول: التخلق بالرفق والأناة.

الرفق جماع الخير كله، ما خالط شيئاً إلا وأفاض عليه جمالاً وبهاءً، فالدبلوماسي مهما كان متحرياً في ألفاظه، وروعة أدبه، فليس في مأمن من سماع ما لا يحب من سيء القول ورديئه، من أشخاص يستهدفون الإساءة إليه، والتغليظ في وجهه، حقداً وحنقاً على دولته.

ولهذا نبه النبي ρ إلى أهمية تخلق السفراء والرسل بخلق الرفق والأناة والهدوء النفسي في مواجهة الأزمات، وعدم التسرع بالغضب أو التقول بما لا يليق بمقام السفراء والرسل .

قال مسلم: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْمِقْدَامِ وَهُوَ ابْنُ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ρ، عَنِ النَّبِيِّ ρ، قَالَ: "إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ."[28]

من فقه الحديث:

الحديث فيه مدح وذم، وتحبيب وترهيب، أما المدح والتحبيب فهو في الرفق ، تاج الأمور كلها، وزينة المعاملة الطيبة وجمالها وتاج رأسها، فإن أعظم الزينة أجملها وأعلاها كتاج الرأس، فخلق الرفق هو تاج الأخلاق التي يتخلق بها المسلم، أما الذم والترهيب، في تحذيره ρ من التسرع والغضب والتوتر، وردة الفعل من غير اتزان، فإن ذلك يوسم الأعمال بالنقص والعيب، فتشمئز منه النفس وتأباه .

ولذلك هذا الخلق إن لم يتحلى به الدبلوماسي في كافة تصرفاته مع المسئولين وأصحاب القرار، قد يعرضه سوء تصرفه وتسرعه إلى الوقوع في الأخطاء ربما تكون كارثية على شخصيته ودولته التي يمثلها في هذا القطر أو ذاك.

قال البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ρ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: "مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ."[29]

من فقه الحديث:

في الحديث أعظم معاني الدبلوماسية في التعامل مع الطرف الآخر الذي يضمر الحقد والحسد والبغضاء ويظهرها بصورة خفية، فالنبي ρ الذي علمه ربه يرشد الأمة بأسلوب الحكمة والأناة

---

28) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، ح: 2594، انظر: صحيح مسلم ، (2004/4) .

29) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله ، ح:6024.، انظر: صحيح البخاري، (12/8)، ومسلم في كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام...ح:2165، انظر: صحيح مسلم، (1706/4) .

والرفق في سياسة الرد على الأحقاد والضغائن والمكائد الصادرة عن العدو، فمثل هذه المواقف تهيج النفوس، وتأجج الغضب للرد ولانتصار، فيأتي التوجيه النبوي فيروض النفس، لتحافظ على سكونها، وعلاقاتها مع الناس، فيصدر منها الرد اللائق الذي لا يجرح مشاعر الناس ولا ينال منهم .

المطلب الثاني: المعالجة والتوجيه حسب الحال والمقام.

لقد جبل الإنسان على الأنس والتأنيس والتيسير، وتكره التنفير والتعسير، فالأصل عند مواجهة الأزمات وعلاجها، أن تكون وسائل التيسير والتبشير، واللطف واللين هي سيدة الموقف في التوجيه والإرشاد، ولا يُخرج عن هذا الأصل إلا لمصلحةٍ راجحة، فقد كان النبيε يراعي جميع أحوال الناس، فيخاطبهم ويعاملهم بما يناسب أحوالهم من غير انتقاص لقدرهم أو مقامهم.

فالدبلوماسي رجل التصق بشخصيته الذوق الرفيع، والأدب الجم، والذكاء الباهر، والحكمة المتواضعة، آداب نادى بها الإسلام، وربى النبيρ أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، والسفراء الذين بعث بهم إلى الملوك.

والمتفحص لسيرته ρ يجد أنه واجه الأزمات الطارئة، بكل حكمة وروية، بطريقة دبلوماسية محببة للنفس، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

1- معالجته ρ لمن أصابه الكرب أو مصيبة الموت.

لهذا التوجيه التربوي النبوي أحاديث كثيرة في أبواب السنة، أكتفي بالحديث التالي:

قال البخاري: حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ τ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ρ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: "اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي" قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ρ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ρ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"[30]

من فقه الحديث:

لقد أمر النبيε المرأة التي أصابها الحزن، بتقوى الله عز وجل، بأسلوب (دبلوماسي) فيه مواساة، ومشاطر لحزنها، ولذلك لم يؤاخذها على ردِّها، مراعاة لحالها التي كانت عليها. قال ابن حجر: "قال الطيبي : صدر هذا الجواب منهε عن قولها:(لم أعرفك) على أسلوب الحكيم، كأنه قال لها: دعي الاعتذار؛ فإني لا أغضب لغير الله، وانظري لنفسك ."[31]

2- معالجته ρ لحالة الغضب.

الغضب ضد الرضا، وهو شيءٌ يداخل القلب، يُفْقِدُ الإنسان السيطرة على تصرفاته، ومنه ما هو مطبقٌ يذهب بالسمع والبصر، فالتعامل مع المغضب يحتاج إلى حكمة وروية، وإلى مجانبة ما يهيج الغضب، وقد كان تعامل النبيε مع المغضب أحسن التعامل وأكمله، ومثاله:

---

30) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ح: 1283،انظر: صحيح البخاري، (79/2) ، ومسلم في كتاب الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، ح:3124، انظر: صحيح مسلم، (637/2) .

31) انظر: فتح الباري، (150/3).

قال مسلم: حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، "اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ"، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ρ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: "اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ"، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: "اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ"، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا .[32]

من فقه الحديث:

الحديث يدلل على الخلق الكريم للنبيε في تعامله مع الناس، فهذا المغضب لم يعاتب حال ثورة غضبه، ولم يسأله ρ عن سبب فعله، لكنه تعامل معه بأدب المربي، وتوجيه المعلم في كيفية معالجة الأزمات والتوترات النفسية، مكتفياً ρ بتذكيره بقدرة الله عليه، ولم يزد على ذلك، مما جعل الصحابي أبا مسعود τ أن يعاهد على الإقلاع عن الذنب، وألا يعود إليه أبداً .

3- معالجته ρ للألفاظ والكلمات الجارحة.

لا يسلم (الدبلوماسي) من سماع ما لا يحب من خصمه أثناء المحاورة والنقاش، فالدبلوماسي الموفق الذي قد هيأ نفسه لذلك، فلا تستخف به عبارة نابية، أو كلمة جارحة، بل هو في جميع الأحوال رابط الجأش، وإذا تملكه الغضب لم يزد عن قول الحق ولا يظلم.

قال البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ τ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ρ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: "وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ".. الحديث [33]

من فقه الحديث:

تناول الحديث قضية من أخطر القضايا التي مرت بها الأمة الإسلامية، فقد نبأ النبي ρ بظهور فرقة من المسلمين، تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية، مبيناً أوصافهم التي انطبقت على الخوارج، التي كفرت بإمارة علي τ، حين رضي بالتحكيم بعد صفين، فأحلوا دمه ودم من والاه من المسلمين، هذه الفرقة امتداد لجماعة من بني تميم جاءوا إلى النبي ρ وهو يقسم الغنائم على المسلمين، فلما أعطاهم منها تقالُّوها فقال أحدهم يقال له ذو الخويصرة :

(يا رسول الله اعدل) وفي رواية للإمام أحمد (اتق الله)، دلالة، تجرد من الأدب بحضرة النبي ρ، يستوجب العقاب ــ فقد استأذن عمرτ أن يضرب عنقه ـــ أما رسول الله ρ فلم يوجه له سوى كلمات تخر لها الجبال هدا " **وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**" إنها أخلاق النبوة لتعليم الأمة، وتوجيهها لاختيار الأسلوب الامثل لمعالجة الموتورين في المجتمع، وذلك بعدم الالتفات إلى تراهاتهم التي تعبر عن الجهل وسوء الأخلاق .

---

32) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، ح: 1659،انظر: صحيح مسلم، (1280/3) .
33) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة.. ،ح: 3610 انظر: صحيح البخاري، (200/4)، ومسلم . في كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج ،ح:1064، انظر: صحيح مسلم، (744/2)

4- معالجته ρ لمن وقع في الظلم.

سيطرة (الدبلوماسي) على نفسه في حال توجيه شتيمة أو إساءة في موقف بقصد أو بغير قصد، تجعلها أقدر على إيصال الرسالة المكلف بها بطريقة دبلوماسية راقية تبهر من حوله، ممن يستعديه بابتذال كلمات تحمل الشتيمة أو حركات أو إجراءات تهدف إلى إضعافه بجره إلى الانتقام والتشفي والرد بالمثل.

فرسول الله ρ خير قدوة في التعامل مع من أساء إليه، وكان قادراً على إنفاذ العقاب بحقهم، فمن أبرز الروايات الواردة في عفوه وصفحه عمن آذوه وأخرجوه من دياره، ما فعله ρ بأهل مكة يوم أن دخلها فاتحاً في التاسع عشر من رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، حيث آمن من لم يحمل سلاحه ودخل داره، أو المسجد الحرام أو دار أبي سفيان .

قال مسلم: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: وَفَدْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَفِينَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَصْنَعُ طَعَامًا يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ، فَكَانَتْ نَوْبَتِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، الْيَوْمُ نَوْبَتِي، فَجَاءُوا إِلَى الْمَنْزِلِ وَلَمْ يُدْرِكْ طَعَامُنَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لَوْ حَدَّثْتَنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ حَتَّى يُدْرِكَ طَعَامُنَا، فَقَالَ:"... قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: "مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ.. "[34]

من فقه الحديث:

يشير الحديث إلى الأحداث التي وقعت في غزوة فتح مكة، منها، طلب أبو سفيان ـــ زعيم مكة ـــ من رسول ρ حينما رأى قوة جيشه عندما وقف مع العباس τ ينظر إلى الكتائب وهي تمر عليه متجهة إلى مكة، أن يرحم أهلها، فأجابه النبي ρ قائلاً: (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ) فأي عظمة هذه في التعامل مع مكة التي سامته وأصحابه سوء العذاب، فقد اضطروهم للهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة، هرباً بدين الله تعالى من قمع قريش وبطشها، التي هي اليوم تقف ذليلة بين يدي رسول الله تطلب الأمن والرحمة، فيعطيها النبي ρ ذلك من غير ململة أو تردد .

إنها قمة الأخلاق في التعامل مع المسيئين له، بل الذين أجرموا في حقه ρ، وحق أصحابه رضوان الله عليهم، ليعلم الأمة دروساً في الصفح والعفو عند المقدرة ، فهو درس لكل الدبلوماسيين والسياسيين من حكام وأمراء، بتغليب جانب الحكمة على جانب الثأر الشخصي والانتقام للذات .

المطلب الثالث: تغليب الحكمة على العاطفة في إدارة الأزمات.

لا شك أن الأزمات بين الدول تأخذ حيزاً كبيراً من التفكير والتدبير لدى المختصين أصحاب القرار، بهدف نزع فتيل التوتر ومعالجة الأزمة في إطار سياسي ودبلوماسي يحفظ لكل دولة ماء وجهها، للوصول إلى تفاهمات مرضية للجميع.

---

34) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: فتح مكة،ح:1780،انظر: صحيح مسلم، (1407/3)

والسياسة الحكيمة هي المرجعية التي تستند عليها الدولة في إطار المصالحة وإنهاء الأزمة، وإن كانت لا ترضي بعض الأطراف أحياناً، فإن المصلحة العليا للدولة مقدمة على أي مصلحة أخرى، بهدف تحقيق الأمن والسلم للمواطن والدولة على حد سواء.

(فالدبلوماسي) شخصية مثقفة متعلمة جرى تدريبه وتأهيله لهذا المستوى سنوات عديدة، ولذلك تكون الدولة على ثقة كبيرة بقدرة ممثليها الدبلوماسيين على متابعة أعمالهم بقدرات عالية، ومعالجة الأزمات الطارئة وفق سياسة دولته، فيحقق أهدافه دون تنازلات أو اشتراطات محرجة للدولة، والنبي ρ أول من تعامل مع قريش بهذه السياسة الحكيمة التي سجلت في نهاية المطاف انتصاراً عظمياً، حين أجبرها النبيρ على توقيع صلح الحديبية، معترفة بدولة الإسلام .

لقد علم النبي ρ في الحديبية، انه لن يكمل المسير إلى مكة لأداء العمرة، فأمر المسلمين بنصب خيامهم، وحثهم على الصبر والاحتساب إلى أن يجعل الله لهم مخرجاً، وكان يهدف النبيρ بمكوثه في الحديبية وعدم العودة إلى المدينة، إجبار قريش وإلجائها إلى خيار الاستسلام لا الحرب التي باتت غير قادرة على خوضها بعد معركة الأحزاب، فقد نجح النبي ρ بسياسته الحكيمة الثاقبة لجر قريش لرفع الراية البيضاء، والتوقيع على معاهدة الصلح التي صبت كافة بنودها لصالح المسلمين والدولة الإسلامية.

قال البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ρ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ فَقَالَ: "بَلَى". فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: "يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا"، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ρ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ρ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"[35].

من فقه الحديث:

الحديث فيه من العبر والعظات الكثير مما يفيد منها السياسيون والدبلوماسيون، وذلك من خلال ما وطده النبي ρ من فقه في السياسة الشرعية والعلاقة مع الأعداء، فالمتتبع لأحداث السيرة يجد أن العلاقة بين النبي ρ وقريش بعد الهجرة ما كانت إلا حرباً ضروساً، فجاءت الحديبية لتقلب المعادلة إلى صراع سياسي دبلوماسي، فكان ذلك تطوراً جديداً في مسيرة الدولة الإسلامية الناشئة .

لقد فشل (الدبلوماسيون) من قريش في إقناع النبي ρ بالعدول عن المسير إلى مكة، وذلك من خلال ثبات النبي ρ وأصحابه على الموقف، وإبداء الحزم والعزيمة والقوة في تنفيذ ما يريد، كما لم تكن لعواطف المسلمين الراغبين في المضي إلى مكة، كنقاش عمر τ لرسول الله

35) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب: إثم من عاهد ثم غدر، ح:3182، انظر: صحيح البخاري، (103/3)،ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، ح:1785، انظر: صحيح مسلم، (1411/3).

ρ أثر في تغيير الموقف لكونه مسألة عقائدية، غير قابلة لأخذ أو الرد، لأنه كان بأمر الله تعالى وإرادته .

يقول الدكتور محمد صادق عفيفي: " وتعتبر هذه السابقة من المبادئ التي اتخذ منها المسلمون نموذجاً يحتذى به في حالة إبرام معاهدات السلام مع الأعداء مادام ذلك يخدم مصالح الدول الإسلامية، ومن هنا غدت نظرية المعاهدة في الأعراف الحديثة جزءاً من النظرية الإسلامية في قيام العلاقات الدولية."[36]

الخلاصة:

لقد اتخذ النبي ρ من التدابير والإجراءات التي تكفل قيام علاقات حميدة بين الأشخاص خاصة أو بين الدول عموماً، فقد كان تعامله ρ مع أصحابه عملاً تأصيلياً لمفاهم (الدبلوماسية) في العصر الحالي، حين راعي أحوال الناس ومقاماتهم، فكان بمثابة العلاج الناجع والبلسم الشافي لأزماتهم ومشاكلهم التي تعترض حياتهم.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: نتائج البحث :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فإن هذا البحث قد توصل بفضل الله إلى عدة نقاط نجملها فيما يلي:

1. بيان معنى الدبلوماسية وأنها من المصطلحات السياسية المعاصرة وتعني الحوار الهادئ البناء للوصول إلى نتيجة بناءة.
2. أن الدبلوماسية جائزة في الإسلام بحيث لا يتعارض مع أسس العقيدة الإسلامية.
3. أن الإسلام سباق في صقل شخصية الإنسان المسلم الدبلوماسية وتمثل ذلك من خلال حوار جعفر رضي الله عنه للنجاشي ومدافعته عن المسلمين.
4. أسس الحوار والنقاش في السنة النبوية وكيفية التعامل مع العدو وغيره وذلك من خلال المكاتبات والرسائل إلى الملوك والأمراء.
5. الناس منازلهم حتى ولو كانوا أعداء طالما لم يعتدوا على المسلمين بقولهم أيها الملك.
6. وضعت الأسس العريضة للساسة وصناع القرار في فن التعامل مع الغير.
7. أن الدبلوماسية لها آثار محمودة على المجتمع والدولة، وذلك بلجب الأمن لها وتجنيبها ويلات الحروب.
8. **ثانياً: التوصيات:**
9. إطلاق حملات توعية داخل المجتمع الفلسطيني وذلك عبر المؤسسات الدينية للتعرف على معنى الدبلوماسية وكيف أن الإسلام كان سباقاً في ذلك.

1- لا بد من توثيق المعاهدات الدبلوماسية في كتاب مختوم.

2- تخصيص يوماً دراسياً لتعريف الناس عن كيفية صياغة الشخصية (الدبلوماسية) في ضوء السنة النبوية.

---

36) انظر: المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية ، للدكتور: محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي – القاهرة، ص: 232.

3- نوصي طلبة العلم بأن يقوموا بدراسة موضوع (الدبلوماسية) في ضوء السنة النبوية، والتوسع في البحث للوصول إلى إصدار كتاب بهذا الخصوص يؤصل لمثل هذا السياسات من خلال الحضارة الإسلامية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) مطبعة: دار المعرفة – بيروت.

3- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق د. محمد بن سعد آل سعود، مطبعة: دار مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى سنة: 1409هـ.

4- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، مطبعة: مؤسسة الرسالة، طبعة: 1422هـ - 2001م.

5- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المتوفي سنة 254هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.

6- دبلوماسية النبي ρ دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، للدكتور: سهيل حسين الفتلاوي، طبعة دار الفكر العربي- بيروت، الطبعة الأولى:2001م،.

7- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

8- سنن الترمذي، حمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، مطبعة: دار الغرب الإسلامي – بيروت، طبعة:1998م.

9- السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ.

10- العلاقات الخارجية في دولة الخلافة، للدكتور: عارف خليل أبو عيد، مطبعة دار الأرقم، الطبعة الثانية:1990.

11- فتح الباري في شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مطبعة دار المعرفة - بيروت 1379هـ.

12- المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية، للدكتور: محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي – القاهرة.

13- مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 24، العدد الاول لسنة 2008، بحث الأمن الدبلوماسي في الإسلام للدكتور: محمد إبراهيم أبو جريبان.

14- مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 24، العدد الاول لسنة 2008، بحث الأمن الدبلوماسي في الإسلامي للدكتور: محمد إبراهيم أبو جريبان.

15- المدخل إلى القانون الدولي وقت السلم، محمد عزيز شكري.

16- مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، مطبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 2001 م.

17- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ε لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة 261 هـ. مطبعة: دار الجيل.

18- النظم الإسلامية، د.ماهر السوسي، د.أحمد شويدح، د.زياد مقداد، مطبعة: مكتبة آفاق، الطبعة السادسة،2010م.

19- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، مطبعة : المكتبة العلمية – بيروت، طبعة:1399هـ -197